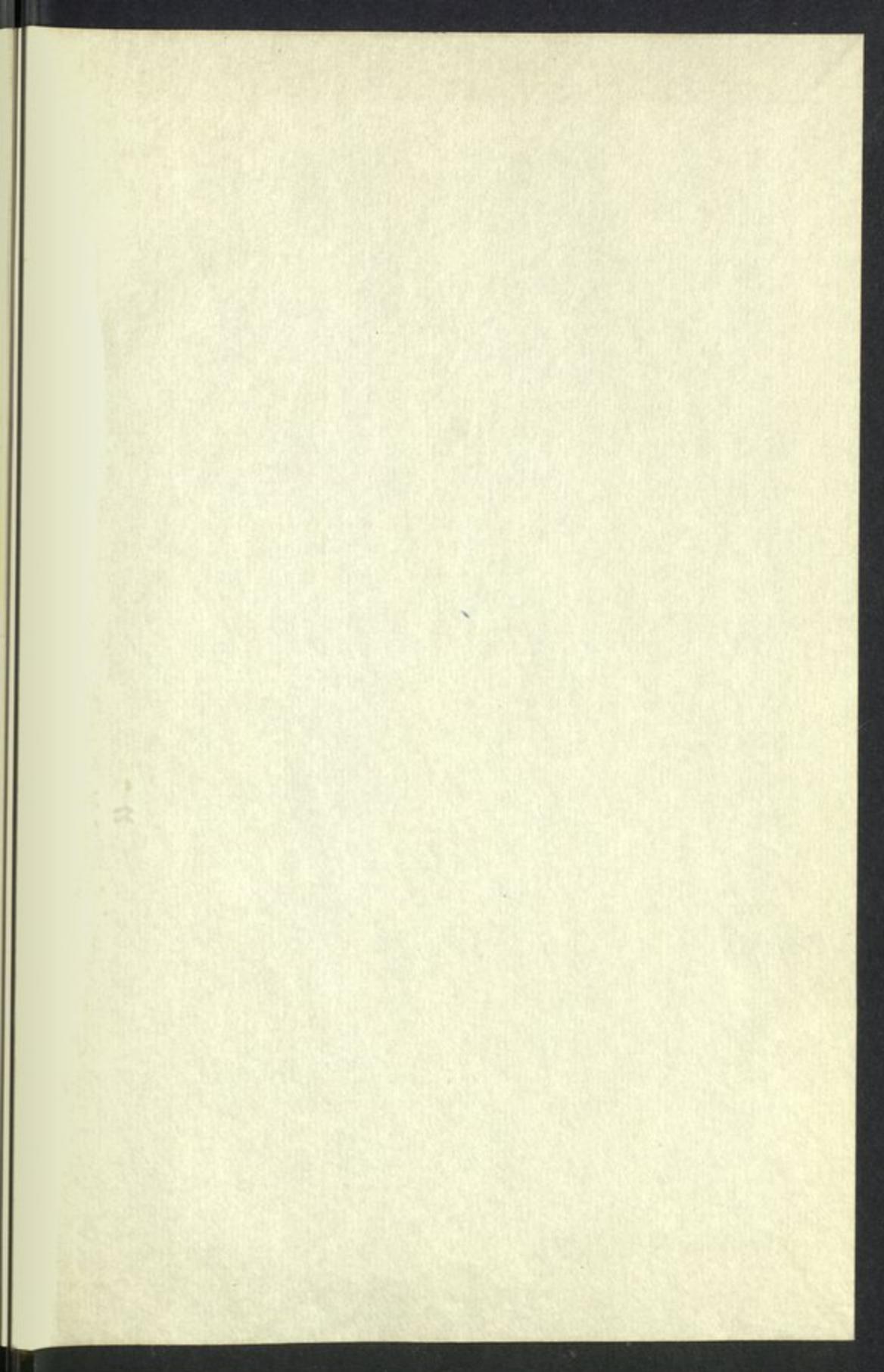


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. U. B. LIBRARY



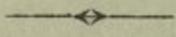
التي اذع نفوسا
خالصا للولاء
انيس

NICOLA A. ZIADEH
American University of Beirut
Beirut, Lebanon

CA: AUB
492.7
F847hA

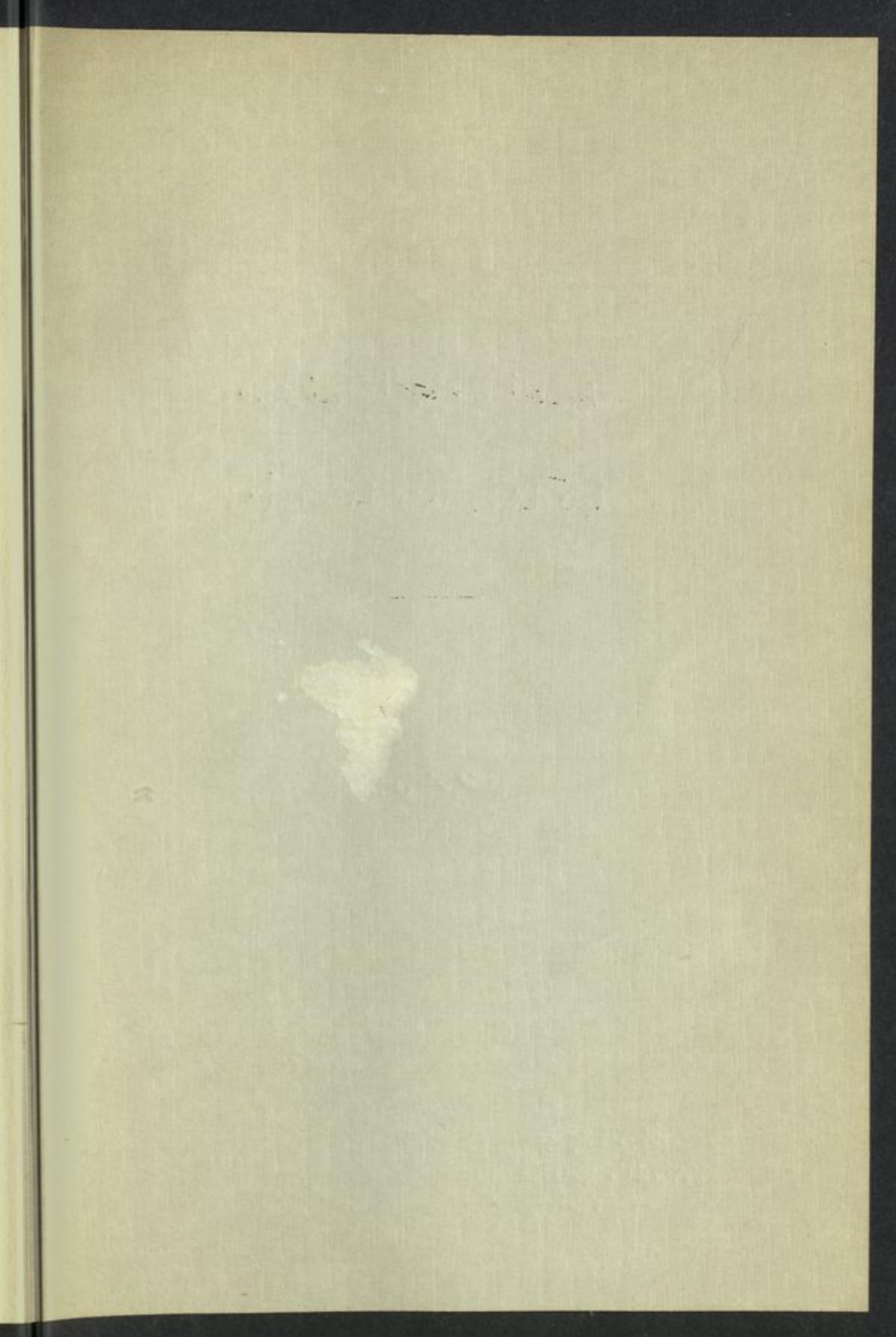
حروف الهجاء العربية

نشأتها ، تطورها ، مشاكلها



انيس فريجة

عن مجلة «البحاث»
السنة الخامسة ، الجزء الاول
ص ١ - ٣٢



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

السنة ٥ - الجزء ١ ربيع الثماني: سبتمبر ١٩٥٢

حروف الرهباء المصرية نشأتها، تطورها، مشاكلها

توطئة

ليس لصورة الحرف قدسية، إنما القدسية لما يرمز إليه الحرف: الفكر. وليس للآلهة في تطور الحرف يد، إنما هو رمز اعتباطي أخذه المتمدنون عن الوثنيين ضرورة لتدوين كلامهم. والكتابة، كما يقول ابن خلدون، داخلية في «عداد الصنائع الإنسانية».

وليس لامة أن تدعي الفضل في خلق فكرة الكتابة، فإن كثرة الشعوب في تقدمها الحضاري، منذ العصور الحجرية، شعرت بضرورة وضع نظام لتدوين الفكر. وقصة الكتابة قصة تطور مستمر من تصوير جميل (١)، أحياناً، إلى

(١) كان الخط المصري القديم (الهيروغلوفي) في طوره الأول صوراً جميلة فنية يقوم برسمها كهنة وفنانون، ولكن عندما عاجلت هذه الصور أيدي العامة أخذ الخط بالتقهقر والابتعاد عن الفن. ولم يكن الخط الفينيقي في أول عهده تام الصنعة ولكن عندما اقتبسه الاغريق ادخلوا عليه تحسينات عديدة.

رسوم قبيحة الشكل ، او على عكس هذا ، من رسوم قبيحة الى حروف جميلة في اشكالها وتناسبها .

والخط العربي من الخطوط المعقدة ، يكثر فيه الابهام وتشيع في اشكاله الفوضى . وقد شعر العرب بهذه المشاكل منذ صدر الاسلام فتعهدوه بالتحسين ، ولا سيما بعد ان نشأت المدرسة . ولكن رغم الاصلاح المتواصل الذي طرأ عليه ، يشعر مفكرو العرب اليوم ان هذا الخط لا يسهل على القارىء القراءة ، ولا يعينه في تتبع الفكرة التي يقرأها الا بعد مران قاسٍ طويل . ولذا عني بجمع فؤاد الاول للغة العربية بتبسيط الخط وقد وضع جائزة كبيرة لمن يتقدم اليه بخط تتوفر فيه البساطة والجمال وسهولة الطبع .

والغرض من هذه العجالة ان نلقي نظرة عامة سريعة على تطور الخط العربي ومشاكله ، فننقل الى القارىء العربي بعض ما توصل اليه الغرب في هذا الحقل ، ثم نذكر شيئاً عن الحلول المقترحة لتبسيطه . ولا ينتظرن القارىء منا ان نلمّ بالموضوع من جميع اطرافه ، ولا ان نُسهب ، انما غرضنا إثارة الموضوع على صعيد العامة من الشعب ، لاننا نلاحظ في جميع قضايانا الفكرية انها تُثار على صعيد الخاصة فيتحمس لها الناس زمناً ، ثم لا تلبث ان يتناساها الناس ، وتستمر الامور في مجراها القديم .

الخط العربي من اكبر مشاكل اللغة العربية . والعرب التواقون اليوم لمواكبة الحياة يرون في خطهم اكبر عائق في سبيل القضاء على الامية ونشر الثقافة بين الجماهير . وقد آن لهم ان يُعيدوا النظر فيه . وانا اعلم ان القضية اخطر من ان يتناولها فرد ، او ان تحكّم فيها فئة من الناس . القضية تهم العرب اجمعين ، ولذا يجب ان نشترك جميعاً في الرأي لنكوّن رأياً عاماً منوراً يساعد الهياة التي سيكون لها الكلمة الفاصلة في هذه القضية .

الكتابة

الكتابة ظاهرة انسانية عامة ، وهي قديمة العهد لجأ اليها الانسان منذ ان اصبح انساناً . وقد مرت في اطوار (١) رئيسية خمسة :

(ا) الطور الصوري ، او الطور المادي عندما كانت ترسم المادة عيناً . فاذا اراد الانسان القديم ان يرسل الى صديقه رسالة يقول فيها انه ذاهب الى صيد السمك فلم يكن عليه الا ان يرسم صورة رجل بيده قصبه في رأسها شص متجهاً نحو بحيرة فيها سمك . وهو طور مرت فيه جميع الشعوب القديمة المتحضرة ، وهو الطور الذي لا تزال اقوام متأخرة تعيش فيه .

(ب) الطور الرمزي ، عندما اصبحت الصورة ترمز الى فكرة او امر معنوي يصعب تصويره . كيف يتأني للرجل القديم ان يصور النهار ؟ هذه مشكلة صعبة ، ولكنه توصل اخيراً الى استنباط صور ترمز الى المعنى . صورة الشمس المنبعث منها الضياء تصلح ان تكون رمزاً للنهار وللضياء وللمعان . وكيف يمثل الجوع ؟ يرسم رجل بائس يده في فمه . وكيف يمثل الكفارة ؟ يطبق عليه خبز او مقدمة اخرى . ولا يزال شيء من هذا في الكتب التي هي من نوع «الدليل» فاننا نشير الى وجود مركز للبريد والبرق بصورة اعمدة التلغراف وخطوطه ، ونشير الى المطعم بملقعة وسكين وكأس ، والبنك بصورة تحويل مالي .

(ج) الطور المقطعي ، وهو بالفعل بدء الكتابة الهجائية . في هذا الطور تمثل الصورة مقطعاً يمكن استخدامه في تهجئة كلمات لا علاقة لها بالصورة ذاتها ، كما كان الامر في الكتابة البابلية والمصرية القديمة . مثلاً ، لو افترضنا افتراضاً

(١) عندما تتكلم في قضايا الاجتماع عن « اطوار » لا نعني ان الطور يبدأ في سنة معينة وينتهي في سنة معينة ليبدأ طور ثان . هذا مخالف لسنن التطور الاجتماعي . كثيراً ما يكون الطور السابق داخلاً في الطور اللاحق ، وكثيراً ما نجد الطورين او الثلاثة جنباً الى جنب في حقبة واحدة ، كما حدث في تطور الكتابة عند المصريين القدماء كما سترى .

بعيداً ان كاتباً مصرياً او بابلياً اراد ان يكتب كلمات تبدأ بالمقطع « يد » (كما في يَدُهَس وَيَدْحَر) فانه كان يصوّر صورة يد ويطلب الى القارئ ان ينسى ان هذه يد بل هي مقطع هجائي . ثم انه كان يرسم صوراً اخرى قيمتها الصوتية تعادل المقاطع الاخرى التي يريدونها . وقد وثق المؤرخ الاميركي بوستد (Breasted) في توضيح هذا الامر عندما مثل عليه بكلمة belief ، فلو ان المصري القديم اراد ان يكتب هذه اللفظة فانه كان يرسم صورة نحلة (bee) وصورة ورقة (leaf) (١) .

(٥) الطور الصوتي او الاكروفوني (٢) وفيه يلجأ الكاتب الى تهجئة الكلمات باستخدامه صور اشياء يتألف من هجائها الاول لفظ الكلمة المعنوية . مثلاً اذا اراد ان يكتب كلمة « زيت » فانه يرسم رسماً يبدأ بالزاي (زهرة او زنبقة) وآخر يبدأ بالياء (يد) وآخر يبدأ بالتاء (تينة) .

من سوء حظ هذا الكاهن او (الكهنة) الذي ابتدع هذه الطريقة ، التي ادّت فيما بعد الى وضع حروف الهجاء الصرفة ، ان التاريخ لم يُبق لنا اسمه ، وبالإضافة لسكان عن جدارة في عداد المشاهير في تاريخ المدينة . لانه اذا كانت حروف الهجاء الفينيقية قد وضعت على هذا المبدأ - وليس هناك ما يشير الى عكس هذا - فانهم ، الفينيقيين ، يكونون قد اقتبسوا الفكرة عن المصريين (٣) . غير ان المصريين لم يستغلوا هذا الاكتشاف ، ولم يستطيعوا تجريدها ولا

(١) في هذا النوع من الكتابة يعتبر اللفظ فقط ، لا طريقة الكتابة التاريخية للفظ .
(٢) Acrophony وهي كلمة يونانية مؤلفة من Acros البدء ، ومن Phone الصوت ويشيرون بها الى مبدأ اتخاذ الصورة كرمز للهجاء الاول من اسم الصورة . اي صورة الكلب ترمز الى ك وصورة غزال الى غ ، على نحو ما يملون الصغار اليوم حروف الهجاء فيقولون لهم ب = بطنة... الخ .

(٣) استعمل المصري القديم في كتابته قرابة ٢٤ صورة اكثر اسما يتألف من هجاء واحد ، كصورة الفم (= شفتين) وترمز الى حرف الراء لان الفم اسمه ru ، وقد استخدم هذه الصور كحروف هجاء .

استطاعوا ان يتخلصوا من الكتابة الصورية جملة . فاننا نرى في الكتابة المصرية القديمة محافظة شديدة (ذلك لانها كانت في الاعلب وفقاً على الكهنة لانها نشأت في المعابد) ففيها الكتابة الصورية المحضة والرمزية والمقطعية والاكروفونية . اما التاجر الفينيقي الذي كان همه السرعة والكفاءة وسير الاعمال فانه جرّد هجاءه تجريداً تاماً .

(هـ) الطور الهجائي الصرف ، الذي لم يعد فيه للصورة من معنى ماديّ ، بل اصبحت الصور ، او على الاصح ما تبقى من شكلها ، رموزاً تدل على اصوات معينة . وهذا الطور يعود الفضل فيه الى الفينيقين سكان الشاطئ الممتد من اللاذقية شمالاً الى الكرمل جنوباً الى البقاع وقليلاً بعده الى الشرق . وهذه الحروف الهجائية اصبحت امماً لكل هجاء تالي بما في ذلك الحرف اللاتيني .

لم يحفل الفينيقي كثيراً بالكتابة كفن من الفنون الجميلة كما كان ينظر اليها الكاهن المصري في هيكله ، بل كان همه تصريف الامور التجارية . ففي القرن الخامس عشر ق. م . او السادس عشر (١) وضع ٢٢ حرفاً مرتبة ترتيب ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت . (٢) وهذه الحروف هي عينها الحروف الآرامية والعبرية . وقد حافظ هؤلاء على اسماء الحروف وترتيبها كما كانت عند الفينيقين ،

(١) كان يظن قبل اكتشاف نقش الملك أحيرام في جيبيل (Byblos) الذي يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر ق. م . ان وضع الحروف الهجائية لا يتجاوز القرن الثاني او الثالث عشر ، ولكن صور الحروف في هذا النقش تفرض ان يكون زمان وضعها سابقاً للقرن الثالث عشر بيضعة قرون ، اذ يجب ان يكون بين زمن وضعها وزمن أحيرام فترة تطور وصل مدينة .

(٢) كنا نعجب ، كأطفال يتعلمون الهجاء ، من هذه الاسماء التي لا اذكر ان معطاً فسّر هالنا . بل كان الواحد منا بعد استظهار اب ت... الخ يعود فيتعلم ابجد هوز... الخ ، ولم اققه لها معنى حتى عنيت بدرس اللغات السامية . وقدماً حيرت هذه الاسماء رواة العرب الاقدمين فحاكوا حولها أساطير وخرافات كما سترى بعد .

واستعملوها للعدد (١) كما يستعملها العرب ايضاً في حساب الجُمَّل . وكانت لسته حروف منها ، وهي التي تجمعها كلمتا « بجد كفت » لفظان (التاء : ت ت ، والذال : د ذ ، والكاف : ك خ ... الخ) فيصبح عدد الهجاء ٢٨ . وعن الفينيقيين اخذ الاغريق هذه الحروف الصامتة (٢) ولكنهم ادخلوا عليها تحسينات عظيمة باضافة الحروف المصوتة ، اي الحركات لانهم اي الاغريق ، حظوا ان هذه الكتابة التي تقتصر على رسم الحروف الصامتة دون الحروف المصوتة كتابة ناقصة ، ولا يمكن ان تشيع بين الناس ، بل تظل وفقاً على الطبقة الارستقراطية عقلاً وثقافة (٣) . اما الاغريق الديمقراطيون فكان مهمهم ان تشيع بين الجماهير .

وقد نشأت في القرن التاسع عشر قضية اكااديمية حول اصل الحروف الفينيقية ، اهي من صنع الفينيقيين ام هي اقتباس؟ وابن نشأت اولاً ، في فينيقيا ام في بقعة اخرى؟ ولكن هذه القضية لا تمس الجوهر الذي يسلم به كل مؤرخ: الفينيقيون هم اول من كتب بحروف هجائية صرفة ، وحروفهم هذه هي ام كل هجاء تال .

(١) الارقام الهندية ١ ٢ ٣ ... الخ ، التي يسميها الفرنج ارقاماً عربية ، طارئة في اللغات السامية . فانهم كانوا يستعملون حروف الهجاء ، ولذا رتبوها في شكل كلمات يسهل تذكرها ، فكانت ا = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، ... الخ الى ت = ٤٠٠ ، ثم عندما اضافوا الروادف تمخض ضغط اعطوها ايضاً قيمة عددية . والعرب يعطون الفضل في وضعها للهنود ، ولان الفرنج اخذوها عنها فانهم يعطوننا الفضل في هذا العمل العظيم .

(٢) تقول الاسطورة الاغريقية ان الذي علمهم الهجاء الفينيقي كان قدموس Cadmus (واسمه فينيقي = قديم = الشرق) الذي ارسله ابوه ليفتش عن اخيه اوربا (= عربا = الغرب) وهي لفظة فينيقية) التي اختطفها زوس من على الشاطئ . اللبناني عندما كانت تستحم . ولكن في تطوافه في بلاد الاغريق اوعز اليه في هيكل دلفي ان يكف عن التفتيش ويتبع عجلة ، وحيث تقف العجلة يبي لنفسه مدينة يحكمها هو بنفسه كملك . وهكذا صار . وعندما استقر به المقام في مدينته اخذ يعلم الاغريق الكتابة واستعمال الآلات الموسيقية في اعياد الآلهة ، وصناعة النحاس .

(٣) يعلم كل من يلم باللغات السامية ان هذه الشعوب درجت في كتابتها على نظام رسم الحروف الصامتة دون المصوتة فجذر حروفه ق ت ل يمكن ان يؤول بعشرات الامكانيات مثل 'قَتَل' و'قَتَل' وقَاتِل ... الخ . اما نشوء نظام للحركات فيرجع نسبياً الى عمود متأخرة جداً .

وها نحن نذكر باقتضاب كليّ اهم النظريات التي قدّمت مع ذكر بعض المصادر (١) التي يستطيع طالب المزيد الرجوع اليها .

النظرية المصرية :

ويقول اصحابها ان الفينيقين كانوا على صلة وثيقة مع مصر تجارياً وثقافياً. ولا شك انهم عرفوا الكثير عن مبادئ خطهم ، فوضعوا حروفهم على المبدأ نفسه. واختلفوا في هل اقتبسوه عن الخط الميراطيقي (ومعناها الكتابة المقدسة) او من الخط الديموطيقي (ومعناها خط العامة) . واختلفوا كذلك في هل ان الفينيقين اخذوه جملة او اخذوا بعض حروفه واستنبطوا اخرى ، ذلك لانهم وجدوا صعوبة كلية في ربط بعض الحروف الفينيقية بحروف مصرية . والنظرية المصرية قديمة العهد اخذها كثير من المؤرخين الكلاسيكيين (الاغريق والرومان) مثل افلاطون وديودورس وبلوتارخ وتسيستوس ، ومن المحدثين لنورمان (٢) ودي روجه (٣) وهلفي (٤)

(١) ما كتب في موضوع الهجاء ، اصله ونشأته وتطوره ، يكون مكتبة عامرة جداً نكتفي بذكر بعض الكتب التي تبحث الكتابة عامة :

- DRIVER, G. R. : *Semitic Writing, London, 1948*
DIRINGER, DAVID : *The Alphabet, New York 1948*
JENSEN, HANS : *Geschichte der Schrift, Hannover, 1925*
LIDZBARSKI, M. : *Das Alphabet, in Nordsemitischen Epigraphik. P. 173 — 194*
LENORMANT : *Essai sur la Propagation de l'Alphabet (٢) Phenicien, I. p. 85 ff.*
E. DE ROUGÉ : *Mémoire sur l'Origine Egyptienne de l'Alphabet Phenicien, 1874* (٣)
J. HALÉVY : *Mélanges d'Epigraphie et d'Archeologie (٤) Sémitique, vol. IX (1901) p. 356*

النظرية السينائية :

ومؤدّاهما ان النقوش التي عثر عليها فلندز بتري (Petrie) سنة ١٩٠٥ في شبه جزيرة سيناء ، حيث كانت للفراعنة القدماء مناجم فيروز ، تشكل حلقة وصل بين الكتابة المصرية القديمة وبين الحطّ الفينيقي القديم . وهذه النظرية في الواقع تنمّة للنظرية المصرية ، غير ان حلقة الصلة كانت مفقودة عند اصحاب النظرية المصرية . ويرى جلّ الذين درسوها انها الارومة التي منها اشتقّ الفينيقي القديم والسبائي القديم . (١)

النظرية البابلية :

ويقول اصحابها (٢) ان الحطّ الفينيقي مشتق من الحطّ المسامري او الاسفيني كما يسميه الغربيون (Cuniform من Cunus اسفين) وذلك لقرب الصلات الثقافية والتجارية بين اشور وبابل وشواطئ البحر الابيض ، ولتقارب اشكال

-
- FLINDERS PETRIE : *Researches in Sinai, London 1906 ; The Formation of the Alphabet, 1912 . (١)*
- ALAN H. GARDINER : *Inscriptions of Sinai, London, 1917 ; The Egyptian origin of the Semitic Alphabet, Journal of the Egyptian Archeology, 1916, III, 1-6.*
- MARTIN SPRENGLING : *The Alphabet ; its rise and development from the Sinai inscriptions, University of Chicago, 1931 .*
- KURT SETHE : *Die neuentdeckte Sinai - Schrift... , Nachrichten von der Kgl. Ges. d. Wissenschaft z. Gottingen, Phil. - hist. Klasse, 1917, 437 ff.*
- W. DEECKE : *Der Ursprung des Altsemitischen Alphabets aus der neuassyrischen Keilschrift, ZDMG vol. 31, 102 - 116 . (٢)*
- Fr. DELITZSCH : *Eie Entstehung des Aeltesten Schriftsystems 1897 .*
- Fr. HOMMEL : *Ethnologie und Geographie des Allen Orients, 1925 P. 96 ff.*

بعض الحروف . ولكنّ اكتشاف الفرنسيين سنة ١٩٢٩ مدينة اوغاريت الفينيقية (شمالي اللاذقية في مكان اسمه الحاليّ رأس شمرا) التي كانت مرفأ هاماً ورد اسمها كثيراً في النقوش المصرية القديمة ، جعل الناس ان يتخلوا عن هذه النظرية . فقد عُثِر في اوغاريت على كتابات عدة وقصائد دوّنت بالخط المسماي ولكن على اساس هجائي . وقد حلّت رموزها وترجمت (١)

النظرية الكريتية او الايجية :

ورأي اصحابها ان الفينيقيين اخذوا خطهم عن سكان الشمال، بطريق كريت او قبرص ، او من جزر الايجي مباشرة ، وذلك لكثرة تسفارهم الى تلك الجزر للمتاجرة . وقسم يرى ان الفلسطينيين الذين دخلوا فلسطين في القرن الثالث عشر ق.م، واحتلوا الشاطيء الممتد من غزّة جنوباً الى جنوبي حيفا شمالاً (وبهم سميت فلسطين) هم الذين جلبوا هجاء شمالياً اخذه عنهم الساميون (الكنعانيون اخوان الفينيقيين الى الجنوب) . ولكن هذا الزعم لا يثبت الآن بعد اكتشاف رأس شمرا وناووس احيرام في جبيل ، اذ منها ومن غيرها يظهر ان الفينيقيين كانوا يكتبون بهجاء قبل ان تطأ اقدام القبائل الايجية سواحل فلسطين (٢) .

-
- R. P. P. DHORME : *Un nouvel alphabet semitique, Revue Bib. 4, 1930 ; Revue Bib I, 1931 .* (١)
- HANS BAUER : *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Shamra, Halle 1930.*
- F. A. SCHAEFFER AND CHARLES VIROLLEAUD : *in Syria 1929 — 1930 .*
- Fr. PRAETORIUS : *Ueber den Ursprung des Kanaanaischen Alphabets, Berlin, 1906 .* (٢)
- LEHMANN-HAUPT : *Zur Herkunft des Alphabets, ZDMG, 1919 p. 67 ff.*
- A. J. EVANS : *Scripta Minora I, Oxford 1909, p. 77 ff.*
- HERMAN SCHNEIDER : *Der Kretische Ursprung des Phoenikischen Alphabets, 1913.*

النظرية الكنعانية :

وقد دافع عنها العالم المستشرق مارك ليدسبارسكي في كتابه المعروف :
Ephemeris fur semitische Epigraphik, I 128 ff .

النظرية الجبيلية :

والقائل بها موريس دينان (Dunand) الذي كان يقوم بحفريات في بيبلس القديمة (جبيل) فعثر على نقوش تشبه الهيروغليفية ولكنها هجائية لا صوتية . ويعتقد دينان ان هذا الحرف هو ام الهجاء الفينيقي ، وحسب نظريته يجب ايضاً ان نرجع زمن الهجاء الفينيقي الى الورا عدة قرون اخرى .

النظرية الفينيقية :

ويصر اصحابها على ان الهجاء نشأ في فينقيا ولم يكن مستعاراً ولا مقتبساً . وكان يأخذ بهذا الرأي بعض المؤرخين الكلاسيكيين مثل لوقان وبليني وكلمنس الاسكندراني .

وقبل ان نترك الموضوع يحسن بنا ان نشير الى نظرية لم تلق قبولاً عند الباحثين ، مؤداهما ان الهجاء اشتق من خطوط واسارات هندسية كانت شائعة الاستعمال في جميع انحاء حوض المتوسط .

يرى القارئ من هذا العرض الموجز ان قضية اصل الحروف الهجائية الفينيقية اكاديمية تاريخية تحتمل كثيراً من الوجوه . اما المحقق ، وقد ألمعنا اليه سابقاً ، فهو ان الفينيقيين وضعوا لهم حروفاً في القرن الخامس عشر او السادس عشر . ومن هذا الحط الفينيقي الام تفرع الحرف السبائي الجنوبي ، وبذا انقسم الهجاء الفينيقي القديم ، على مر الزمن الى فرعين (١) شمالي ، ويشمل الفينيقي المتأخر ، والآرامي كما يتمثل في النقوش التدمرية والنبطية وفي نقش زنجري ، والعبري . (٢) جنوبي ، ويشمل الكتابة السبائية والمعينية والقبطانية (الحط المسند) والحبشية والصفوية والثمودية واللحيانبة .

اصل الخط العربي :

وقد ذكرنا لك هذا توطئة لوضع الخط العربي في حيزه من الخطوط السامية . وهذا الخط احدثها عهداً ولكنه شاع وانتشر اكثر من اي خط سامي آخر ، ويأتي بعد الحرف اللاتيني في اتساع الرقعة الجغرافية .

ابن نشأ هذا الخط ، وهل هو من وضع العرب ام انه مقتبس ؟ سنذكر لك الرواية العربية ، ثم نردفها بما توصل اليه البحث التاريخي الحديث .

الرواية العربية :

لن نقف بك طويلاً عند نظرية التوقيف التي تقول ان الله علم الانسان اللغة والكتابة ، لانها لا تستند الى العلم ولا يثبتها الواقع ، وكذلك لن نزعجك بذكر جميع الروايات المختلفة التي ينسبونها الى ابن عباس وغيره من الرواة والمحدثين ولا الى رواية ابن اسحق والواقدي والبلاذري وابن النديم والمسعودي والصولي وغيرهم (١) ، على ما فيها من متعة ، ولكن نمرّ بك سريعاً ذاكرين نظرية يُصرّ التقليد العربي على توكيدها ، وهي ان الخط العربي الشامي مشتق من الخط العربي الجنوبي ، اي المسند خط اهل سبأ وحمير ، ولكن ليس مباشرة

(١) يقولون ان واضعي الخط هم ابيجد او ابوجاد او اباجد وهوز او هواز او هاوز وحاطي وكلان او كلون.... الخ وانهم كانوا ملوك مدين (= مديان) هلكوا يوم الظلة (سورة الشعراء الآية ١٨٩) مع قوم شعبان. وكان رئيسهم كلون وقد رثته ابنته بشعر ١٠٠٠ وفي يوم الظلة يقول النضر بن المنذر : ملوك بني حطلي وسعفس في الندى وهوز ارباب الثنية والحجر ويقول اعرابي (عن القلقشندي) :

اتيت مهاجرين فلهوني ثلاثة اسطر متابعات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا تعلم سعفساً وقريشات

جميع هذه الاخبار تجددها مكررة في الصولي ادب الكتاب القاهرة ١٣٤١ هـ . ص ٢٨ - ٣١ وفي ابن النديم ، الفهرست ، طبعة فيلجل ، ص ٤ - ٦ ، وفي البلاذري ، فتوح البلدان (الطبعة الاوربية) ص ٤٧١ - ٤٧٤ وفي غيرهم .

بل عن طريق الحيرة والانبار في العراق . يقول ابن خلدون ان هذا الخط الجنوبي رحل اولاً الى آل المنذر في الحيرة لما بين هؤلاء والجنوبيين من صلة القرابة ، ومن الحيرة ارتد غرباً جنوباً الى الحجاز . ومنهم من يجعل الانتقال اولاً الى الانبار ومن ثم الى الحيرة . ثم تتبسّط الرواية في ذكر الاشخاص العرب الذين نقلوه من العراق الى اهل الطائف وقريش . ونحن لا نستطيع الركوت الى هذه النظرية التي لا تستند الى التاريخ ، انها اقرب الى الخرافة (اعتبر مثلاً اسماء الذين نقلوا الخط الى الحجاز) . وان كان هنالك من شبه بين الخط السبائي وبين خط الحيرة فانما مرده الى ان الخطين في الاصل مشتقان من اصل واحد . ولا ننسى ان الحرف السبائي يُكتب منفصلاً بينا الحرف العربي يُكتب متصلاً .

وقد تقول ، في نفسك ، ولماذا اذاً ازعجت نفسك بذكر الرواية العربية التي لا تركز اليها ؟ نحن نذكرها لاصرارها على ان الكتابة « بضاعة » استوردها العرب من الخارج ، وهي ليست من صنعهم بل اقتبسوها عن جيرانهم وتعمدوها بالاصلاح والتحسين الى ان وصلت الى الشكل الذي نكتب ونطبع فيه اليوم . وهذا في نظرنا هامٌ جدّاً ، اذا ادركه كل عربي فلا يعود يعارض في ادخال ايّ تحسين او تغيير في الخط ، لان هذا الخط قد مرّ في اطوار عديدة يصعب معها تبين الشكل الاول .

ماذا يقول البحث التاريخي العلمي ؟

أخذ العرب خطهم عن الانباط ، وقد عزز هذا الرأي العثور على بضعة نقوش عربية يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام كتبت بالخط النبطي المتأخر ، اهمها نقش النارة ، وهي قصر للروم في الحرّة الشرقية من جبل الدروز . وقد وجد هذا النقش على قبر امرئ القيس احد ملوك الحيرة ، ويرجع تاريخه الى

سنة ٣٢٨ ب. م . ونقش زبد ، وهي خربة بين قدّسرين (قنشرين الآرامية : قن النسر) والفرات، ويرجع تاريخه الى سنة ٥١٢ او ٥١١ ب. م، وهو مكتوب بثلاث لغات : الاغريقية والسريانية والعربية . ونقش حرّان في اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، وهو مكتوب فوق باب كنيسة بالاغريقية والعربية (١) ونقش ام الجمال المكتوب بالاغريقية والآرامية ، ويرجع تاريخه الى سنة ٢٥٠ ميلادية .

الانباط شعب عربي كما يستدل من لغتهم ومن اسماء الاعلام الواردة في نقوشهم . ولكنهم عربٌ وقعوا تحت تأثير الثقافة والحضارة الآرامية ، فجاء خطهم أرامياً ولغتهم مزيجاً من العربية والآرامية كما يظهر من نقش النارة . وكانت عاصمتهم البتراء (سلع ، ومعناها الصخر . والبتراء اسمها الروماني وهو ترجمة الاسم السامي) مركزاً تجارياً هاماً . وكانت مضاربهم تمتد من سينا الى شمالي الجزيرة العربية الى حوران ومشارف الشام . وعندما اخذت دولة السلوقيين بالتأخر اخذ هذا الشعب العربي بتوسيع رقعته الجغرافية حتى ان في سنة ٨٥ ق. م . اصبح ملكهم حارثة (Aretas) سيّد دمشق وسوريا الجوّفة (البقاع) وفي سنة ١٠٥ او ١٠٦ ب. م . خرب تراجانت ملكهم . وكان للانباط ، كما يظهر من النقوش ، خطان خط قديم وخط متأخر . وكان خطهم القديم اشبه بالخط الكوفي تكثر فيه الحظوظ المستقيمة والزوايا . وهو الخط الذي كان ينحت على الصخر او يكتب به على النقود . ولكن الانباط كانوا تجاراً قبل اي شيء آخر ، والتاجر لا يحفل بالكتابة كفن بل هم الكفاءة والسرعة . ولذا نشأ عندهم خط شعبي مدور لا مزوي (٢) . والخط العربي اشتق من الخط المتأخر اي

(١) راجع رسم هذه النقوش الثلاثة ص. ١٣ .

(٢) مدور ترجمة كلمة Cursive اي الكتابة التي تكون فيها اشكال الحروف منحنية مقوسة . ومزوي ترجمة كلمة Angular اي فيه زوايا.

الحط المدور . ويظهر ان فترة اقتباس هذا الحط التجاري كانت بين منتصف الثالث ميلادي ونهاية القرن السادس . ورحلة هذا الحط النبطي الى الحجاز كانت من حوران الى الحيرة والانبار في العراق في اواسط الفرات ومن ثم الى الحجاز ، او من البطراء الى العُلا - محطة تجارية في شمالي الحجاز اسسها عرب الجنوب كما يظهر من النقوش التي عثر عليها هناك او يتنغ (١) - فمدن الحجاز التجارية .

وقبل ان نترك هذا الموضوع يجب التنبيه الى خطأ وقع فيه مؤرخو العرب وهو الزعم القائل ان الحط النسخي مشتق من الكوفي . والنسخي هو الحط الذي يميل الى الاستدارة والتقويس اي هو الحط المدور . والكوفي يميل الى التربع فهو المزوي . ولكن اكتشاف كتابات علي البردي وكتابات اخرى ترجع الى الفترة الاسلامية الاولى ترينا بوضوح لا يقبل الشك ان العرب منذ البدء عرفوا خطين : المدور النسخي والمزوي الكوفي والحطان نشأ معاً ولم يشتق الواحد من الآخر . والظاهر ان العرب عرفوا الحط النبطي القديم المزوي وعرفوا الحط الآرامي المربع الذي كانت تكتب به الاناجيل . وكان يُعرف بالسطرنجيلي (اي خط الاناجيل) لان الحط المزوي فيه جلال وفيه زخرف يليق بان يحفر على المباني وان تكتب به الكتب المقدسة . واما الحط النسخي فهو الحط التجاري الذي تستعمله العامة . والظاهر ان العرب قلدوا الآراميين بكتابتهم القرآن بالحط الكوفي الذي لا نشك في ان الكوفة تعهدته وجودت فيه فنسب اليها .

ضبط الحط العربي بالنقط والحركات والضوابط :

ونعني بالنقط النظام الذي اتبع في تفرقة الحروف المتشابهة بت ، ج ح خ ،

(١) Julius Euting : Tagebuch Einer Reise in Inner - Arabien, 1
Leiden 1896, II 1914 .

عربي قديم نقش زبد و حران نقش النارة بطي متأخر

ا	ا ا ا ا ا	ا	ا ا ا ا ا	ا ا ا ا ا
ب	ب ب ب ب ب	ب ب ب	ب ب ب	ب
ج	ج ج ج ج ج	ج ج ج	ج ج ج	ج ج
د	د د د د د	د د	د د د د د	د د د د
هـ	هـ هـ هـ هـ هـ	هـ هـ هـ	هـ هـ هـ	هـ هـ هـ هـ
و	و و و و	و و و	و و و	و و
ز	ز	ز ز		
ح	ح ح ح ح ح	ح ح	ح	ح
ط	ط ط ط ط ط		ط	ط ط
ي	ي ي ي ي ي	ي ي ي	ي ي	ي ي ي ي
ك	ك ك ك ك ك	ك ك ك		ك ك ك ك
ل	ل ل ل ل ل	ل ل ل	ل ل ل	ل ل ل ل
م	م م م م م	م م م	م م م	م م م م
ن	ن ن ن ن ن	ن ن ن	ن ن ن	ن ن ن ن
سامخ	س			
ع	ع ع ع ع ع	ع ع ع	ع ع	ع ع
ف	ف ف ف ف	ف ف ف	ف ف	ف
ص	ص ص ص			ص
ق	ق ق ق ق ق	ق		ق ق
ر	ر ر ر ر ر	ر ر	ر	ر ر ر ر
ش	ش ش ش ش ش	ش ش ش	ش ش ش	ش
ت	ت ت ت	ت	ت	ت ت ت
لا		لا	لا	لا

مقابلة الخط النبطي المتأخر بالخطوط العربية القديمة (ولفسون)

سبائي لحياني تمودي صفوي

א	א	א א א א	א א א א א א א א	א א א א א א א א
ב	ב	ב ב	ב ב ב ב	ב ב ב ב ב ב ב ב
ג	ג	ג	ג ג	ג ג ג ג ג ג ג ג
ד	ד	ד ד ד ד	ד ד ד ד ד ד ד ד	ד ד ד ד ד ד ד ד
ה	ה	ה ה ה ה	ה ה ה ה ה ה ה ה	ה ה ה ה ה ה ה ה
ו	ו	ו ו ו ו	ו ו ו ו ו ו ו ו	ו ו ו ו ו ו ו ו
ז	ז	ז ז	ז ז	ז ז
ח	ח	ח ח ח ח	ח ח ח ח ח ח ח ח	ח ח ח ח ח ח ח ח
ט	ט	ט ט ט ט	ט ט ט ט ט ט ט ט	ט ט ט ט ט ט ט ט
י	י	י י י י	י י י י י י י י	י י י י י י י י
כ	כ	כ כ כ כ	כ כ כ כ כ כ כ כ	כ כ כ כ כ כ כ כ
ל	ל	ל ל ל ל	ל ל ל ל ל ל ל ל	ל ל ל ל ל ל ל ל
מ	מ	מ מ מ מ	מ מ מ מ מ מ מ מ	מ מ מ מ מ מ מ מ
נ	נ	נ נ נ נ	נ נ נ נ נ נ נ נ	נ נ נ נ נ נ נ נ
ס	ס	ס ס ס ס	ס ס ס ס ס ס ס ס	ס ס ס ס ס ס ס ס
ע	ע	ע ע ע ע	ע ע ע ע ע ע ע ע	ע ע ע ע ע ע ע ע
פ	פ	פ פ פ פ	פ פ פ פ פ פ פ פ	פ פ פ פ פ פ פ פ
צ	צ	צ צ צ צ	צ צ צ צ צ צ צ צ	צ צ צ צ צ צ צ צ
ק	ק	ק ק ק ק	ק ק ק ק ק ק ק ק	ק ק ק ק ק ק ק ק
ר	ר	ר ר ר ר	ר ר ר ר ר ר ר ר	ר ר ר ר ר ר ר ר
ש	ש	ש ש ש ש	ש ש ש ש ש ש ש ש	ש ש ש ש ש ש ש ש
ת	ת	ת ת ת ת	ת ת ת ת ת ת ת ת	ת ת ת ת ת ת ת ת
ת	ת	ת ת ת ת	ת ת ת ת ת ת ת ת	ת ת ת ת ת ת ת ת

(Ephemervis عن لسيارسكي والعبانية) الخطوط الصفوية والتمودية والعبانية

ع غ... الخ والعرب سمّوا هذا الاصلاح الهام اعجاماً ، واعجمه اي اذهب
عجمته (الهمزة سالبة) . والحركات هي الفتحة والضمة والكسرة والمدّة ،
والضوابط (١) السكون والشدّة والوصلة . ولم كنت اتخى لو ان العرب
الاحياء يحدون معنى اللفظة ويتبعونها ، فاننا نرمي في الكتب التي تبحث هذا
الموضوع : اعجام ، شكلات ، حركات ، او حروف مصوّتة ، تنقيط ، وليس في
هذا ضرر لو انها محددة المعنى غير متداخلة . اما نحن فنفضل هذه التسمية البسيطة
- والعلم يفرض التبسيط - لانها تتفق تماماً والواقع .

جميع الحُطوط السامية المتفرّعة من الفينيقية كانت خلواً من النقط والحركات
او من اية اشارة اخرى تفرق حرفاً عن حرف او تشير الى نوعيّة الحركة
او طول المقطع او قصره ، بل كان الكاتب السامي يكتبني بوسم الحروف
الصامتة (٢) التي تشبه هياكل عظمية لا حياة فيها . حياة الكلمة المكتوبة في
الحركة . الحرف الصامت في نظر الفونيتيكي (٣) لا يمكن لفظه بل يدل على
مركز اعضاء النطق فقط . وهذا النقص المعيب في الكتابة السامية افسد على
العرب تفكيروهم من جهة كتابة الكلمة ، اذ اصبح للحروف اهمية خاصة واعتبرت
الحركات امرأ طارئاً . ولذا كانت قراءة النقوش السامية مدعاة لكثير من
الاختلاف والتأويل . فاننا لو افترضنا ان كلمة مركبة من « ك ت ب » وردت
في نقش سامي ، عربي او فينيقي او عبري او خلافاً ، فان امكانيات قراءتها
عديدة وعديدة جداً فهي : كَتِيبَ و كَتِيبَ و كَتِيبَ و كَتِيبَ و كَتِيبَ
و كَتِيبَ و كَاتِبَ و كَتِيبَ و كَتِيبَ او كَتِيبَ الخ .

-
- (١) او ضوابط الكلمة تفرقة لها من ضوابط الجملة Punctuation التي سيأتي الكلام عنها .
(٢) غير اننا في نقوش قليلة المدد نلاحظ ، وذلك في عصور قريبة منا نسبياً ، انهم كانوا
اجياناً يستخدمون حروف العلة الالف والواو والياء .
(٣) الذي يعنى بدراسة اصوات اللغة وتقليباتها .

لا نعلم تماماً سبب استنكاف السامي من وضع رموز او حروف خاصة بضبط القراءة . اما الرواية العربية المتأخرة فتصر على ان شكل الكتابة تحط من قيمة المكتوب اليه ، اذ قد يعتبر الامر اهانة له ، وهذا العمري غاية في التكلف واسراف في الفتيا ! واضنها تمثل « وجهة نظر المعارضة » لان استنباط النقط والحركات والضوابط لاقى معارضة شديدة ، وها مالك ابن انس (+ ١٧٩) يمنع تنقيط القرآن . اما نحن فلنا في الامر تعليل بسيط جداً وهو ان الكتابة كانت في القديم من الصنائع المقدسة ، وكانت وفقاً على كهنة المعابد او كُتّاب الملوك . ولو كانت الكتابة ضرورة شعبية ، في ذلك الزمن ، لوضعوا نظاماً لضبط القراءة ، ولكن الكتابة والقراءة كانت لطبقة الخاصة . ولكن عندما اصبحتا ضرورة ، او ملكاً مشاعراً نشأت الحاجة الى وضع النقط والحركات والضوابط كما فعل العبران والسريان (١) والعرب من بعدهم .

يعزو التقليد العربي ضبط الكتابة الى أناس لا يُشك في تاريخيتهم مثل ابي الاسود الدؤلي الذي وضع نظاماً من التنقيط لا يختلف عن النظام النسطوري السرياني ، والخليل بن احمد الفراهيدي الذي ابدل النقط برموز اخرى هي حروف او ابعاض حروف . فالفتحة الف صغيرة ، والكسرة مقطوعة عن الياء ، والضمّة واو مصغرة ، والسكوت قد يكون انه راس «خ» دلالة على الخلو (او خالٍ من الحركة) والمدّة من مُدّد (وفي كتابة اليد اصبحت -) والشدّة من شدّد (اي الحرف الاول ش) والوصلة من صل (اي الحرف الاول ص)

(١) نشأ عند السريان نظامان ، الواحد يعتمد النقط فوق الحرف وتحت الى يساره ، وهو النظام الذي اعتمده ابو الاسود الدؤلي ، اذا صحت الرواية ، والآخر يعتمد الحروف المصوتة في هجاء الاغريق . وقد ادخلها ثيوفيل الرهاوي عندما ترجم الاياداة السريانية لضبط بها اسماء الاعلام والامكنة .

ونشأ عند العبران عدة انظمة لضبط القراءة والشائع منها اليوم الطريقة الطبرية ، نسبة الى مدينة طبريا حيث كان لليهود مدرسة دينية مشهورة عنيت بضبط اسفار العهد القديم .

ولكن الواقع اننا لا نستطيع الركون الى هذه الرواية . قد يكون لهذين الرجلين يد في تحسين ما ، ولكن ، وكما يزعم مورتييس في الموسوعة الاسلامية في بحثه الكتابة العربية ، قد يكون ان بدء ضبط الكتابة يعود الى ما قبل الاسلام قليلاً ، وعندما ظهر الاسلام ونشأت عند العرب حاجة الى تعلم القراءة والكتابة شعروا بضرورة التبسيط . قراءة العربية الحالية من الحركات عملية شاقة فكيف بها اذا كانت خالية من التنقيط ايضاً . وإخال المدرسين في القرن الاسلامي الاول كانوا يتأفقون من صعوبة تعلم العربية كما يفعل مدرسو اليوم . فلا عجب ان يكون الاصلاح قد تناول الخط العربي في فترة سابقة للخليل .

مشاكل الخط العربي :

ونجملها في اربع (ا) شكل الحروف، تشابهها وتغير اشكالها (ب) خلوها من الحركات والضوابط (ج) قواعد كتابية (د) صعوبة الطباعة ونفقاتها .

(ا) شكل الحروف، تشابهها وتغير اشكالها :

من جملة الشروط التي يجب ان تتوفر في حروف الهجاء المثالية ٣ اساسية :

(١) ان يكون لكل صوت من اصوات اللغة رمز واحد اي حرف واحد . وهذا ما لا نراه في اية حروف هجائية حتى في الانظمة الهجائية التي يضعها العلماء والجمعيات العلمية ، فانك تجد مثلاً kh لتمثل خ . وفي الانكليزية sh تمثل ش و th تمثل الثاء ، وعندما CKQ للفظ واحد . وجميع هذه عيوب .

(٢) ان تكون اشكال الحروف متباينة متغايرة كي لا يقع القارئ في التباس .

(٣) ان لا تتغير اشكال الحروف بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذا توفرت هذه الشروط الاساسية مضافاً اليها جمال الشكل وتناسبه يكون لدينا هجاء مثالي .

اذا قسنا الحروف العربية بهذه المقاييس نجد ان الشرط الاول يتوفر في

الحروف العربية ، فهي من هذه الناحية تفوق الحروف الانكليزية مثلاً ، لان لكل حرف عربي صوت واحد ، وجموعها يفي باصوات اللغة . اما اذا قسناها بالشرطين الثاني والثالث نجد ان كثيراً من الحروف العربية قريبة الاشكال مما يوقع القارئ في كثير من الوهم ، واشكلها تغيير بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذ كر انني كنت مرة اقرأ مع طالب اجنبي يدرس عليّ العربية فورد في جملة هذه اللفظة « بتثنتنا من ... » فتوقف الطالب وقال : ابن الحروف في هذه الكلمة فاني لا ارى الا نتوءات عليها نقط ؟ قلت له اقرأ النقط لاننا نقرأ النقط ! فضحك . ولكنه الواقع اذ ان بتثني في بدء الكلمة ووسطها تختفي ويقوم مقامها سنّ عليه نقطة او اكثر . وقد عجبت وانا اقرأ كتاب عبدالعزيز فهمي باشا « الحروف اللاتينية للكتابة العربية » القاهرة ١٩٤٤ ، من اصرار الذين ردوا عليه بان هذه ظاهرة حسنة في الخط العربي لانه خط اختزالي ، والعالم يسير نحو الاختزال (كما يقول كامل الجادرجي) . ولكنه تشبيه فيه اسراف . ليس الاختزال مدعاة للمباهاة . انا افهم الاختزال انه ضرورة تجارية طارئة ، فيها كثير من التعسف والاعتباط ، والغاية منها توفير الوقت بين رئيس ومرؤوس ، وبين مدير وكاتبة سره ليس الا . اما الكتابة فلجميع الناس وشرطها الاسامي الوضوح والسهولة ، لا ان تكون رموزاً واحاجي .

وتناسب الحروف في احجامها يزيد في جمال الخط . اما في الحرف العربي فالتناسب الهندسي معدوم ، بعضها صغير ، وبعضها الآخر كبير . منها ما يعلو عن الخط المستقيم ، ومنها ما ينحدر عنه . وادهى من هذا ان العلو والانحدار لا يتمشيان حسب قانون . فالحاء واضرابها تنحدر اكثر مما تنحدر الراء ، والكاف تعلو عن الخط اكثر مما تعلو سائر الحروف . وقسم منها اذا صغرناها فان بعضها يتلاشى . ويمثل نصري خطار على هذا بكلمة « كلمح البصر » يقول اذا اردنا ان نصغر الحرف نسبياً فاننا نصل الى درجة تختفي معها اللام والباء او يصبح الواحد

منها نقطة ميكروسكوبية !

وقد تعجب لهذا الرأي لانك اعتدت سماع عكس هذا، من ان الحظ العربي جميل يعير نفسه للزخرف . والعرب جعلو من الكتابة اليدوية فناً رائعاً . اما نحن فنعتقد ان هذا الفن الذي ابدعوه في الكتابة لم يكن سوى محاولة لاختفاء النقص والعيب البارز في الحظ العربي . ونحن لا ننكر انه فنٌ ولكنه فنٌ لتغطية ما ليس فيه فن . ونزيد بان هذا الفن اصبح فيه من التكلف ما جعل من الكتابة صوراً للحدس والتخمين ، والكتابة ليست للفن ، وليست للتخمين والحدس . الكتابة لنقل الفكر .

(ب) خلوها من الحركات والضوابط :

والحركات ، او الحروف المصوتة ، هي الفتحة والكسرة والضمة والمدّة ، والضوابط هي الشدّة والوصلة والسكون . وقد قلنا سابقاً ان الكتابة السامية القديمة كانت تلجأ الى رسم الحروف الصامتة للكلمة ، وتترك الباقي للقارئ . ولم تشدّ الكتابة العربية عن هذه القاعدة . فقد كانت في يوم من الايام تكتب خالية من التنقيط ومن الحركات ومن الضوابط ؛ ولكن عندما نشأت المدرسة ، وعندما شاع العلم ، شعروا بضرورة تسهيل القراءة فأضافوها (١) .

الحقيقة هي ان الكلمة العربية هيكل عظمي لا حياة فيه ، وقد ألف العرب رؤية كتابتهم خالية من الحركات حتى فاتهم ان الحركة (Vowel) جزء حيوي من الكلمة . الجذر « ق ت ل » افتراض لا وجود له الا في رأس الفيولوجي ،

(١) ظهر اولا التنقيط لتفرقة بين حرفين يتشابه شكلهما كالباء والتاء . وكانت الهزئة تكتب بتقطيع او بنقطة كبيرة بمداد يختلف عن المداد الذي يكتب به الكاتب . ثم ظهرت الحركات والضوابط . وعندما لم يكن النص محرراً كان الكاتب يقول : بانه المنة ، او اخت الصاد او الطاء ، او بكسر الاول وفتح الثاني وتسكين الثالث... الخ او كان يقول هي وزان كذا ، على ما تجد في كتب السير والرحلات والجغرافيا .

ولكنه يصبح كلمة ذات معنى اذا قلت قَتَلَ قَتِيلَ، قَاتِلَ ... الخ فكأن الكلمات السامية ، ومن جملتها العربية ، صورٌ ورموزٌ تذكّر القارئ بكلماتٍ قائمه في الذهن . وهذا معنى قولنا (واظنه لاحمد قاسم امين) ان الناس يقرأون ليفهموا ، اما نحن فيجب علينا اولاً ان نفهم لنقرأ !

قد يكون لهذا النوع من الكتابة مبرر عندما كانت الكتابة ، كما المعنا سابقاً ، لنفري من الناس ، ولكن اليوم ، والعلم مشاع ، والحكومات تسعى حثيثاً للقضاء على الامية ، لا نرى له مسوغاً . قد تقول : ولكن لدينا حركات وضوابط . غير ان هذه لم تحل المشكلة لان كتابة اليد ، وجل ما تخرجه المطابع (باستثناء كتب المدرسة) يظهر خالياً من الحركات والضوابط . فنظّل القراءة الصحيحة التامة وفقاً على من قضى العمر متبحراً في اسرار العربية . اما الكثيرة الكثيرة منا فتقف امام « يفعل » حائرة تُعمل الفكر في التثبت منها ، اهي يَفْعَلٌ أم يَفْعِلٌ ، ام يُفَعِّلٌ (١٦ امكانية !) . وهذه الكلمة الصغيرة « قد » قد تكون قَدَّ او قَدَّ او قَدَّ او قَدَّ او قَدَّ (١) ! و عوضاً عن ان يركّز القارئ انتباهه في معالجة المعنى واستيعاب الفكرة تجده حائر البصر ينظر الى فوق الكلمة والى تحتها والى ما بعدها فكأن عليه ان يتحسّس المعنى تحسّساً . واخيراً يتوصل القارئ البارع الى القراءة الصحيحة ولكن متى؟ واما اطفالنا ، اطفالنا الذين لا يستطيعون ان يستدلوا بالقرينة ، ولا ان ينظروا بعيداً الى الكلمات التالية ، فاني لهم ان يقرأوا قراءة صحيحة (٢) ؟ لن نطيل الكلام في موضوع صعوبة القراءة العربية والزمن الذي يحتاج اليه الولد العربي لا تقانها لانه امر مفروغ منه يسلم به كل من مارس مهنة التعليم ، وكل أب حاول

(١) قد تقول ولكن القرينة ، او ما بعد اللفظة يعيننا على القراءة . وهذا صحيح ، ولكن في الامر مشقة على الصغير والكبير . وهذا معنى قولنا اننا يجب اولاً ان نفهم لنقرأ !

(٢) يتندر فريق من اساتذة الجامعة الاميركية بقصة ولد قرأ لفظة «فستكون» فيكون !!

ان يساعد ولده : وما دام العرب جادّين مخلصين في القضاء على الامية عليهم ان يعيدوا النظر في اصلاح خطّهم .

(ج) قواعد كتابية

وبما يعقد الحُطّ العربي، وبالتالى يزيد في صعوبه القراءة، بعض القواعد الكتابية التسفية . وهذه ظاهرة لا نشكو منها نحن وحدنا ، فهؤلاء الانكليز يصرون على تهجئة Through بهذا الشكل التاريخي رغم الحاح الاميركان بكتابتها Thru و Laugh بدلاً من Laf . ولكن هذا لا يقاس بما يعانیه اطفالنا في الاملا العربي . ومن هذه القواعد المعقدة الممزقة على نوعيها القطع والوصل (١) وطريقة كتابتها . وهناك آل التعريف الداخلة على الحروف الشمسية وما تسببه من الارتباك في القراءة ، فقد قال لي ولدي ، رضا ، ان كلمة « فبالرغم » فيها ما يجب حذفه ! وهذا ما قاله لي آخر ونحن نقرأ « على الانتفاخ » . وعندنا نوعان من الألف الطويلة والمقصورة ، وحروف تلفظ ولكنها لا تظهر كتابة كما في داود وهذا و ابراهيم ، وحروف تكتب ولا تلفظ كالالف بعد واو الجماعة والالف في الاسم المنصوب المنون والياء في « في » في مثل قولنا « في البيت » . واذا لم يكن النصّ محرراً فلا سبيل لمعرفة الحرف المضاعف . جميع هذه وغيرها يمكن تبسيطها ، ولنا في كتابة القرآن الكريم ما يشجعنا على هذا ، فان الفاظاً عديدة تكتب في القرآن الكريم (٢) بشكل ، بينما يكتبها الناس اليوم بشكل آخر ، ولا نظن ان احداً يقول بان هذا التبسيط مسّ جوهر القرآن الكريم بشيء .

(١) راجع رأياً لنا في الهزرة وكتابتها في مجلة الابحاث العدد الرابع، السنة الرابعة ص ٣٩٢ .

(٢) في القرآن كلمات عديدة جداً تكتب على غير الهيئة التي نكتبها نحن مثل : رحمن ، مسجد (مساجد) ، كتب (كتاب) ، ارسلتك ، صالمت ، كفرين (كافرين) ، ابراهيم ، ارهبون ، يعاد (يا عبادي) ، وغيرها . ولكن هذه وامثالها من شذوذ لا تؤثر بالجوهر انما هي عرض .

الحرف ، كأن تأتي الفتحة قبل الحرف قليلاً او بعده قليلاً ، وذلك لصعوبة طبيعية لا مفرّ منها . والطريقة الثانية ان نسكب الحركة مع الحرف في « ام » واحدة فتظهر الحركة في المكان الذي تريده من الحرف . ولكن اذا فعلنا هذا علينا ان نضرب عدد حروف الوسط فقط بخمسة (ذلك لان الحرف الاول والحرف المنتظرّف يمكن اضافة حركة منفصلة) فيرتفع عدد الناذج التي مثلنا لك بها الى ما يقرب من خمسة اضعاف .

وإذا سألت طباعاً عن اسعار الطبع قال لك : الكلام على حرفٍ مشكل او حرف بدون شكل ؟ لان نفقات المشكل تروبو على نفقات غير المشكل نسبة لزيادة العمل . صفاغ الحرف اللاتيني (ولكن اليوم لا يصفون الحروف بل يستعملون طريقة اللينوتيب) يعالج حروفه التي تكون في قرابة ٣٠ خانة . اما صفاغ الحرف العربي فامامه بضع مئات من هذه الخانات .

ضوابط الجملة (: Punctuation)

وقبل ان نهي الكلام عن صعوبة الخط العربي يجدر بنا ان نذكر شيئاً عن ضوابط الجملة ، وهي التي يسميها بعضهم علامات التوقيم (ولا ادري لماذا !) ويسميها البعض الآخر علامات الوقف ، او علامات الاملاء ، اما نحن فنرى انها علامات لضبط الجملة من جهة القراءة . ومعلوم ان الخط العربي خلو من هذه العلامات وهي ضرورية جداً جداً ، وتعين القارىء ، كبيراً كان ام صغيراً ، على تفهّم المعنى .

وعندنا ان اقتباس العلامات الفرنجية هو افضل طريقة . ولا سيما لانها تقريباً موحدة في اللغات الاوربية . وهي علامة الوقف (.) وعلامة السؤال (؟) وعلامة التعجب او التأثر (!) وعلامة الاقتباس او التنصيص كما يسميها البعض (« ») وعلامة الحذف (....) والفاصلة (،) وهي للوقف الجزئي ، وخطان

للجملة المعترضة أو التفسيرية ، وعلامة لما يتلو (: -) والقوسين () لعبارة
أو لفظة لا تشكل جزءاً حيوياً من الجملة بل تكون بدلاً أو تفسيراً . ونحن
نرغب في ان نرى كتبنا العتيدة مطبوعة على هذا الشكل .

حل مشكلة الخط العربي :

قد يكون ، في نظر القارئ ، بحثُ اصل الخط ومشاكله من الامور الثانوية
اذا ما قيست بالوجهة الايجابية : ما العمل ؟ وكيف نتلافى هذه الصعوبات ؟
وكيف 'تحل' المشكلة ؟

لم تعد مسألة الخط موضع شكوى وتذمر من الاساتذة والطبّاعين ، بل
تعدت هذا النطاق الى الجامعات والهيئات العلمية التي تعنى بالثقافة . ومن الخير ان
يُبحث تيسير الخط على هذا الصعيد ، لاننا نعتقد مخلصين انه مهما بذل الافراد
من جهود في هذه النواحي فستظل كصرخة في واد . ولكن عندما تعالجها هيئة
لها وزنها ، ولها كلمتها في العالم العربي ، يكون لكلمتها وقع في العالم العربي .
واننا نتطلع الى اليوم الذي يقول فيه مجمع فؤاد الاول للغة العربية في القاهرة كلمته
الاخيرة في الموضوع ، لان امر تيسير الخط موضوع على بساط البحث ، وقد
قدّمت اليه اقتراحات عديدة ، لم ينظر في كثير منها لبعدها عن التيسير ، ولكنه
بحث بعضها . وهناك جائزة مالية كبيرة لمن يقدم احسن اقتراح لحل المشكلة .

وقبل ان ندلي برأينا المتواضع نجب ان نطلعك على خلاصة ما دار من
ابحاث وما قدّم من اقتراحات لتكون انت لنفسك رأياً خاصاً . وعندما
نعرض المشاكل الفكرية والاجتماعية عرضاً علمياً ، وعندما يتكوّن رأي عام ،
عندئذ فقط نستطيع ان نخطو الخطوة التالية وهي التقرير ثم التنفيذ . العيب
في جميع مسائل الفكر في العالم العربي انها تبحث على صعيد عالٍ ، من فوق ،
ولا تبدأ من تحت ، من الجماهير . وغرضنا من هذا العرض السريع ان نطلع

الجماهير على المشككة ، وما يدور حولها ، كي يتكوّن رأي عام تستنير به الهياة التي لها القول الفصل .

وانت لا يهيك ان تعرف اسماء الاشخاص الذين قدموا اقتراحات بقدر ما يهيك ان تعرف شيئاً عن هذه الاقتراحات . يمكن حصرها في ثلاث فئات :

(أ) فئة يرى اصحابها ابقاء القديم على قدمه . يقولون ان هذا الخط انما وُجد لهذه اللغة فلا يناسبها خطٌ آخر . فضلاً عن انه خطٌ جميل اختزاليّ بشكله ، ويُعير نفسه الكتابة الزخرفية . ولكنهم يسلمون بانه خطٌ ناقص ، ولكن السلف الصالح سدّ هذا النقص بالتنقيط والحركات والضوابط ، فهم يقترحون ، منعاً للالتباس ، وتسهيلاً للصغار ، ان تطبع الكتب والمجلات والجرائد محرّكة . ثم يضيفون امراً آخر هاماً - ونحن نوافقهم في هذا - وهو تحسين اساليب تدريس اللغة وتجيئها الى النشء الصغير . يقولون ان في كل لغة صعوبة ملازمة لها ، وفي كل لغة شواذ ، والتعلمٌ مرأسٌ وضبط نفس ، فلا ينتظرن الصغير ان تأتبه اللغة عفواً دون بذل مجهود .

(ب) فئة يرى اصحابها تيسير هذا الخط . وهم ينقسمون الى فئتين ، فئة ترى رسم الحركة مع الحرف كما هو الحال في الحرف الجبشي . في الجبشية لكل حرف ٣ اشكال مع الفتحة والضمة والكسرة . وفئة تُيسر الخط وتضيف الحركات على نحو ما هو جارٍ الآن . واحسن مثالٍ على تيسير الخط - واقربهم الى التيسير - الابجدية الموحدة للسيد نصري خطّار (١) . فقد ابقى على شكل الحروف العربية (القريبة الى الكوفية) وجعلها مفصولة ، وبذلك سهل امر الطباعة (كما اسلفنا) وسهل على الصغار تعلمها بسرعة . ولكن من ينظر في غيرها من مقترحات التيسير يشعر انها اقرب الى التعسير منها الى التيسير . فهجاء علي الجارم ، الذي نظر فيه المجمع ، لاقى مقاومة عنيفة على اساس انه يعقد

(١) راجع مقالاً لنا عنها في مجلة « الكلية » عدد آذار ١٩٥٢ .

الكتابة ويستلزم معرفة قواعد عدّة . ونحن ، عوضاً عن ان نبين سيئاتها او محاسنها ، فقد وضعنا امام القارىء بعض نماذج (راجع الرسوم) ولا شك انه يوافقنا على انها قبيحة وعلى ان الحظ القديم ، قبل هذا التيسير ، اجمل وابسط !

«
»

«
»

«
»

«
»

«
»

حروف الهجاء العربية ، اقتراح مصطفى الشاع
السطور الثلاثة الاولى : « بسم الله الرحمن الرحيم »

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
فَاِنَّ رَوْحَ الْاَوَّلِ مَلِكٌ مَّر

اقتراح حسين منصور

(ج) وفئة ترى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني على انه احسن حرف لتأدية الالفاظ ، ولا سيما اذا ادخلنا عليه بعض التعديلات ، كأن يستغنى عن امثال th التي تمثل ث و sh = ش ويستعاض عنها بحرف واحد . ومن القائلين بهذا الرأي عبد العزيز فهمي باشا . وقد وضع اقتراحه موضع البحث . وكان له مريدون ، وكان له معارضون . وقد ردت عليهم في سلسلة مقالات جمعها ونسقتها بعدئذ وطبعت في كتاب واحد المعنا اليه (١) . ونحب ان يطلع عليه كل من له في الامر لذة .

(١) الحروف اللاتينية لكتابة العربية ، القاهرة ، ١٩٤٤

وانت اذا نظرت في ردود المعارضة لوجدت الكثير منها ما هو مردود، لانه بعيد عن المنطق ، كقولهم انه اختزالي (وقد بيتنا فساد هذا الرأي) وانه جميل ، وانه احسن خط يلائم اللغة العربية ، وما اشبه ذلك . غير ان الاعتراض

(٢) خير البهائم ما تعهد به المرء ونفسه ، وخير البهائم النفس ان ترع بأهونها عن مراقبته الاعتذار

السيفه افسدته انبعاثه ممن الكعبه

في حدته المحدثين الجهد والمعبه

اقترح علي الجارم . خير البر ما تعهد به المرء نفسه وخير بر النفس ان ترعاً بها عن مواقع الاعتذار . السيف امدق ابناء ..

لحمي لما رحله عامسي لم طر كط
بينما رحل رمي بطريه

استندت عليهم العطسه
استندت عليه القطه

اقترح سليمان محمد سليمان

اجتمعوا لئنفسه فسترهمه عصبه
رعبت لئنفسى فانهت عصبتي

اقترح محمد شيت الجاوي

الذي عمل عمل السيف في مقترح عبد العزيز فهمي هو ان هذا الخط يفصلنا عن ميراثنا الادبي والديني . ماذا يحدث للقرآن ؟ وماذا يحل بالمكتبة العربية الادبية

والتاريخية؟ وهو لعوري اعتراض حري بالدرس . اما عبد العزيز فهمي فيقول ان الامر ايسر مما يتصوره المعارضون المترمتون : بضعة ملايين من الجنيهات تكفي لاعادة طبع كل ما هو حري بالبقاء بالحرف اللاتيني وحرق او اهمال ما لا قيمة له . ويقول انها فرصة سانحة للتخلص من كثير من الغث . وهذه الملايين القليلة ليست شيئاً بالنسبة لما توفره من المال في الطباعة ، ناهيك عن تقليل عدد السنوات في تعلمها .

أببتشججخخذرر

سشصضطظع

غوقللمنهلولا

بيكةة

الابجدية الموحدة وضع نصري خطار

ولا شك ، بعد ان وصلنا الى هنا في بحثنا ، انك تحب ان تعلم رأبي . من دراستي المستعجلة لجميع هذه المقترحات لا أرى سوى اثنين : (١) الابجدية الموحدة ، هذا اذا لم نرد ان تكون طفرتنا قوية ، واذا لم نرد ان نتنازل

عن خطنا (٢) الحرف اللاتيني مع التعديلات التي اقترحها عبد العزيز فهمي . واذا
خيرت ، او اذا وُضع الامر للتصويت فاننا مع الحرف اللاتيني ، لانني لا ارى
حلاً للمشكلة ما لم 'تحرك' الكلمة وما لم يُضبط لفظها وشكلها . والحرف اللاتيني
يستطيع هذا .

Ḥayru'l birri mā turahhadu bi hi'l - (٣)

*marṣu nafsu hu, wa ḥayru birri'l nafsi an
tarbasa bihā. ran mauwāqifi'l 'idār.*

*al sayfu an daqu ambāsan min il kutubi
fiy raddi hi l' raddu bayra l' riddi wa il la'ib*

اقترح عبد العزيز فهمي بنا . خير البر ... السيف امدت ابناء ...

ولكنني اكرر ان وجهة نظر فردي لا تؤثر كثيراً في هذه الناحية الحساسة .
ولكل يحق لكل منا ان 'ييدي' وجهة نظره لا ان يفرضها . 'تحل' هذه المشاكل
اذا ارادها المجموع الاكبر .

ولكن الحياة تسير بسرعة ، ومن لا يواكبها تخلفه يتسكع في المؤخرة . اللغة
ليست لنا ، لاننا زائلون . بعد نصف قرن يموت كلُّ من سيقراً هذه المقالة (الا اذا
قرأها الاحداث ولا اخلاهم بفاعلين) ولكن اللغة ستبقى الى ماشاء الله . فعلينا
ان نأخذ بعين الاعتبار هذه الاجيال المقبلة التي لا يعرف عدّها الا ربك واجد الوجود .

وفي التاريخ الاسلامي والفقهاء الاسلامي من المرونة والليونة ما يشجع على
الاقدام على الصالح السنايع . الا يقولون : « الضرورات تبيح المحظورات »
و « درء المفسد اولى من جلب المصالح » وما قولك في مبدأ « الضرر يُزال »؟

انيس فرمجة

الجامعة الاميركية

ا
ب
ج

د
ه
و

ز
ح
ط

ث

ج

د

ه

و

A. U. B. LIBRARY

CA:AUB:492.7:F847hA:c.1

فريضة ، انيس
حروف الهجاء العربية : نشأتها ، تطورها
مشاكلها

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01068928

CA:AUB:492.7:F847hA

فريضة *

حروف الهجاء العربية : نشأتها ، تطورها ،
مشاكلها *

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number
18 28 78	1 F BINDING		

CA
AUB
492.7
F847hA

